

تدشين عصر جديد

الفترة الممتدة من نوفمبر ٢٠١٢ إلى نهاية عام ٢٠١٣، على الرغم من قصرها في التاريخ، تركت بصمة دائمة في مسيرة الصين نحو النهضة الوطنية. ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني الذي عُقد في عام ٢٠١٢، تولت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي جين بينغ بصفته الأمين العام المهمة التاريخية لقيادة البلاد. وأشرفت القيادة على الوضع العام، ووضعت خططا شاملة، وحكمت بعزيمة. ومن خلال ذلك، حشدت قوة جبارة لتحقيق النهضة الوطنية، وقادت الحزب والقوات المسلحة وأبناء الشعب من جميع القوميات لفتح فصل جديد في قضية الحزب والبلاد. ومن نقطة الانطلاق الجديدة هذه، أبحرت الصين، تحت توجيه قيادتها الجديدة، واجتازت الأمواج بثبات.

الحلم بأهداف كبيرة واتخاذ إجراءات جريئة وتحقيق إنجازات بتفان

في ٢٩ نوفمبر ٢٠١٢، وبعد فترة وجيزة من توليها المنصب، زارت القيادة المركزية الجديدة للحزب معرض «طريق النهضة» في المتحف الوطني الصيني. ومع تأمله الماضي وتطلعه إلى المستقبل، أعلن شي قائلا إن "تحقيق نهضة الأمة الصينية كان أعظم حلم للشعب الصيني منذ بداية العصر الحديث".

يعتبر حلم الصين رؤية جماعية عظيمة. ومنذ طرحه، سرعان ما أشعل حماس مئات الملايين من الصينيين، وجمع قوة هائلة لدفع مسيرة التقدم. وبدافع من هذه الرؤية، تسعى الصين جاهدة لبناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل بحلول الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠٢١، وأن تصبح دولة اشتراكية حديثة قوية ومزدهرة وديمقراطية ومتحضرة

ومتناغمة بحلول الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام ٢٠٤٩. وبالنسبة لدولة بحجم الصين، التي تعد ثاني أكبر اقتصاد في العالم ويبلغ عدد سكانها ١,٣ مليار نسمة ولا يزال نحو ١٠٠ مليون شخص فيها يعيشون في فقر، فإن الطريق إلى النهضة الوطنية ليس سهلا على الإطلاق، فالمهام ملحة والمسؤوليات جسيمة.

وعلى مدار تلك الفترة، أظهرت القيادة المركزية رؤية واسعة، وأدركت الاتجاه العام، وركزت على الأولويات الرئيسية، وتحملت مسؤولياتها الثقيلة بعزم. وفي مواجهة الظروف والمهام الجديدة، طرحت لجنة الحزب المركزية، انطلاقا من فهم عميق للظروف العالمية والوطنية والحزبية، سلسلة من الأفكار والرؤى والاستنتاجات الجديدة.

وتشمل تصريحات شي الثاقبة مجموعة واسعة من المجالات: التمسك بالاشتراكية ذات الخصائص الصينية وتطويرها، وتعميق الإصلاح والانفتاح، ودفع التنمية العلمية، وتعزيز الديمقراطية الاشتراكية وسيادة القانون، وتحسين التواصل الجماهيري والعمل الثقافي، والتعامل السليم مع العلاقات الدولية، وتعزيز بناء الحزب، وتحديث الدفاع الوطني، ودفع إعادة التوحيد الوطني.

لقد قدمت هذه الرؤى إجابات معمقة عن مسائل نظرية وعملية كبرى تتعلق بقضية الحزب والبلاد، وأثرت نظريات الحزب العلمية، وعمقت فهمه للقوانين التي تحكم الاشتراكية ذات الخصائص الصينية وبناء حزب ماركسي حاكم.

وقد أحرز تقدم في مجالات الإصلاح والتنمية والاستقرار، وفي الشؤون الداخلية والدبلوماسية والخاصة بالدفاع الوطني، وفي حوكمة الحزب والدولة والجيش. وطُرح مبادرات مهمة بطريقة منظمة. وتقدم العمل الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي والإيكولوجي، إضافة إلى عمل بناء الحزب، بطريقة منسقة وشاملة.

وكما صرح شي، في مقابلة مشتركة مع وسائل إعلام بريكس، "في بلد شاسع وكثيف السكان ومعقد مثل بلدنا، يجب على القادة أن يكون لديهم فهم عميق للظروف الوطنية وأن يبقوا على دراية باحتياجات الشعب وتطلعاته. ويجب أن نتصرف بوعي كامل وبأقصى قدر من الحذر، كما لو كنا نخطو فوق جليد رقيق أو نقف على حافة هاوية. ويجب أن نتبنى الحكمة القائلة بأن حكم بلد كبير يشبه طهي سمكة صغيرة، فهو عمل يتطلب عناية دقيقة، بحيث لا نتهاون في جهودنا أبدا، ولا نغفل عن واجباتنا أبدا، ولنلتزم دائما بالخدمة والصالح العام".

وبفضل قناعات راسخة، وإحساس قوي بالمسؤولية التاريخية، ورعاية صادقة للشعب،

وأسلوب عمل واقعي، بثت القيادة المركزية الجديدة الثقة والقوة في نفوس الشعب.
ووحدة الهدف تجلب وحدة القوة. وعلى مدار تلك الفترة، تحدث شي مرارا عن حلم الصين،
وشرح معناه وجوهره:

- حلم الصين المتمثل في النهضة العظيمة للأمة الصينية يعني بناء دولة قوية ومزدهرة
والنهوض بالأمة وضمان رفاهية الشعب.

- ولتحقيق حلم الصين، يجب على الصين اتباع طريقها الخاص والتمسك بالروح الصينية
وحشد قوة الشعب الصيني.

- في نهاية المطاف، حلم الصين هو حلم الشعب. ولا بد من تحقيقه بالاعتماد على الشعب وأن
يجلب لهم الفوائد باستمرار.

وتتذكر تشن تشن، وهي طالبة ماجستير في جامعة الصين للعلوم الجيولوجية وأول طالبة
جامعية صينية تصل إلى قمة جبل تشومولانغما، بوضوح كلمات شي خلال ندوة مع الشباب،
"حلم الصين ينتمي إلى التاريخ، وإلى الحاضر، وإلى المستقبل. إنه حلم الأمة، وحلم كل صيني، وقبل
كل شيء، حلم الجيل الشاب".

وقالت تشن "لقد شجعتي الأمين العام شي على المضي قدما مستلهمة روح الوصول إلى قمة
جبل تشومولانغما، وعلى مواصلة بلوغ آفاق جديدة في كل من مسيرتي المهنية وحياتي، وحلمي هو
تسلق أعلى القمم في جميع القارات السبع".

وعلى امتداد تاريخها، تجرأت الأمة الصينية على الحلم، وأظهرت الشجاعة للسعي وراء تلك
الأحلام، وعملت باجتهاد لتحويلها إلى واقع.

واليوم، أصبح حلم الصين مصدر إلهام لإنجازات جديدة. فهو يعكس التطلعات المشتركة
للشعب الصيني عبر الأجيال وأصبح مثالا موحها يشجع على الوحدة الوطنية والتقدم.

ولا تتجلى هذه الرؤية في التنمية الوطنية فحسب، بل أيضا في التغيرات التي تشهدها
المجتمعات المحلية. ففي قرية لوتووان في محافظة فوينغ بمقاطعة خبي، التي زارها شي قبل أكثر
من عام، تغيرت الحياة بهدوء. وبابتسامة على محياه. روى قو رون جين سكرتير فرع الحزب في
القرية، البالغ من العمر ٦٥ عاما، قائلا "في العام الماضي، ربينا مائة رأس من الماشية، وأكثر من
ألف رأس من الأغنام، وزرعنا ٢٠ مو (١,٣٣ هكتار) من الأعشاب الطبية، وافتتحنا بيتين أو ثلاثة
للضيافة الريفية. أما هذا العام فنخطط لبناء محطة مياه وافتتاح المزيد من بيوت الضيافة".

الاستجابة بهدوء والتقدم بثبات

لطالما كانت الاستجابة الهادئة واتخاذ القرار العلي من السمات المميزة للقيادة. وعلى مدار تلك الفترة، تمسكت لجنة الحزب المركزية بثبات بمبدأ السعي لتحقيق التقدم مع الحفاظ على الاستقرار. وانطلاقاً من هدف تحسين جودة وكفاءة التنمية الاقتصادية، ركزت على تثبيت النمو وضبط الهياكل وتعزيز الإصلاح.

وفي النصف الأول من عام ٢٠١٣، ومع تباطؤ النمو الاقتصادي في الصين ربعا تلو الآخر، امتنعت البلاد عن تطبيق إجراءات تحفيزية جديدة أو تيسير السياسة النقدية. وبدلاً من ذلك، سرعت وتيرة خفض فائض القدرة الإنتاجية وابتكرت منهجيات تنظيمية وشجعت التنمية من خلال الإصلاح، مع استخدام التنمية للحفاظ على الاستقرار.

وطوال عام ٢٠١٣، ظل النمو الاقتصادي الصيني ضمن نطاق معقول. وتحسنت جودة وكفاءة التنمية بشكل ملحوظ، وكانت العمليات الاقتصادية مستقرة عموماً، واستمر إطلاق الزخم الداخلي للتنمية، وتعززت التنمية القائمة على الابتكار بصورة كبيرة، مما جعل أداء الصين يبرز بوضوح في المشهد الاقتصادي العالمي الأوسع.

وحظي عزم وإصرار القيادة المركزية الجديدة على الحفاظ على استقرار سياسات الاقتصاد الكلي باعتراف عالمي. وأشارت إحدى وسائل الإعلام تعليقا على انتعاش النمو منذ الربع الثالث من عام ٢٠١٣ إلى أنه "مرة أخرى، لم يتبع الاقتصاد الصيني المسار الذي توقعه المشككون". وهذا يعكس رؤية إستراتيجية طويلة الأمد.

وقال شي "لم يعد بوسعنا الاعتماد على الفرص التقليدية الناشئة عن الاندماج في التقسيم العالمي للعمل، وتوسيع الصادرات، وتسريع الاستثمار. بدلاً من ذلك، نحن نواجه فرصاً جديدة تتطلب منا توسيع الطلب المحلي، وتعزيز الابتكار، وتحويل نموذج التنمية الاقتصادية".

وأضاف "يجب أن تبقى سياسات الاقتصاد الكلي مستقرة، وأن تكون سياسات الاقتصاد الجزئي مرنة، وأن توفر السياسات الاجتماعية شبكة أمان"، مشدداً أيضاً على ضرورة "اغتنام الفرص التي تتيحها الدورة الجديدة من الثورة التكنولوجية والتحول الصناعي والاستفادة منها على نحو كامل". وأردف "لا مجال للانتظار، أو الوقوف مكتوفي الأيدي، أو التراخي".

وعلى مدار تلك الفترة، وضمن اجتماعات المكتب السياسي للجنة الحزب المركزية ولجنته

الدائمة، وكذلك في المشاورات مع الشخصيات غير المنتمية للحزب، وفي المناقشات مع قياديين من المقاطعات والبلديات، دأبت القيادة المركزية على دراسة وإجراء أبحاث حول القضايا الكبرى المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ودعا شي إلى تقييم الوضع بشكل صحيح وتعزيز الثقة واعتماد تدابير شاملة والعمل بجهد من أجل دفع التنمية الاقتصادية المستدامة والسليمة. كما يجب بذل الجهود لحماية وتحسين معيشة الشعب، مع التقدم بثبات نحو هدف بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل.

فالاستقرار هو الشرط الأساسي، أما التقدم فهو الهدف. ويجب تحقيق تقدم في تسريع إعادة الهيكلة الاقتصادية وتحويل نموذج التنمية، وفي معالجة التحديات الملحة، لا سيما في مجالات الرعاية الصحية والضمان الاجتماعي والتعليم، وكذلك في اغتنام الفرص التاريخية التي تتيحها الثورة الصناعية العالمية الجديدة والتحول التكنولوجي.

وتحت توجيه القيادة المركزية، طبقت سلسلة من السياسات الكبرى التي لا تهدف إلى تثبيت استقرار الحاضر فحسب، بل تفيد أيضا على المدى الطويل. وأسهمت هذه الإجراءات بفعالية في ترسيخ أساس التنمية الاقتصادية وتعزيز ثقة السوق.

وفي عام ٢٠١٣، زاد الاستهلاك المحلي بإطراد، ونمت الخدمات الحديثة والصناعات الناشئة الأخرى بوتيرة أسرع بكثير من الصناعات التقليدية، وظلت الأسعار مستقرة، وكان التوظيف مستقرا بشكل عام، وبقي المجتمع متناغما. وشهد إنتاج الحبوب نموا للعام العاشر على التوالي، في أول سلسلة من هذا النوع منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية. وتحققت جميع الأهداف المحددة سلفا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بنجاح.

وفي ٩ ديسمبر ٢٠١٣، أصدرت السلطات المركزية إشعارا حول تحسين تقييمات أداء القيادات الحزبية والحكومية المحلية، مشيرة بوضوح إلى أن نمو الناتج المحلي الإجمالي لن يكون بعد الآن المعيار الوحيد.

وشدد شي قائلا "لم نعد نستطيع الحكم على النجاح ببساطة من خلال معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي"، معربا عن رفضه للتركيز طويل الأمد على مقاييس الأداء الضيقة، ومتطلعا إلى تحول جوهري في نمط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الصين.

وعلى مدار تلك الفترة، أظهرت الديمقراطية الاشتراكية ذات الخصائص الصينية حيوية أكبر. وبلغت التنمية الثقافية أفاقا جديدة. وتعززت التنمية الاجتماعية من خلال تحسين مستوى

المعيشة والإدارة الابتكارية. واكتسب التقدم الإيكولوجي زخما قويا. كما تعززت عملية تحديث الدفاع الوطني والجيش.

وعلاوة على ذلك، تحققت تقدم جديد في العمل المتعلق بهونغ كونغ وماكاو وتايوان. وعبر مضيق تايوان، أنشئت آليات اتصال مباشر بين السلطات المختصة، مع تعزيز الثقة السياسية، وتكثيف التفاعلات الاقتصادية والسياسية، مما رسخ مسار التنمية السلمية للعلاقات عبر المضيق ودفعها قدما.

أداء المهام الشاقة وتحدي الشدائد

يعد الإصلاح والانفتاح بمثابة مهمة تاريخية للصين المعاصرة وسمة مميزة تحدد كيفية رؤية العالم للبلاد اليوم.

وبعد ٣٥ عاما من التقدم، دخل إصلاح الصين مرحلة حاسمة ومعقدة. وقد أدت العقلية الراسخة والمصالح المتجذرة إلى حالة من التوافق العام إزاء ضرورة المضي في الإصلاح، لكنها في الوقت نفسه، أوجدت قدرا من عدم اليقين بشأن خطواته المقبلة، حيث يترافق الأمل مع بقاء بعض المخاوف.

ولقد كانت قوانغدونغ، طليعة الإصلاح والانفتاح في الصين، الوجهة الأولى لشي خارج بكين بعد توليه أعلى منصب في الحزب في أواخر عام ٢٠١٢. وكانت رسالته واضحة:

يعد الإصلاح والانفتاح خطوة حاسمة فيما أصبحت عليه الصين اليوم. وهما أيضا المفتاح لتحقيق الهدفين المئويين والنهضة الوطنية. إن السعي وراء التنمية، وتحرير الفكر والإصلاح والانفتاح ليس له نهاية، والجمود أو التراجع لا يقدمان أي حل. من الضروري اتباع المسار الصحيح، والجرأة على أداء المهام الشاقة وتحدي الشدائد.

ومثلت تصريحات شي إعلانا جديدا للإصلاح ونداء للعمل وإشارة إلى البلاد للمضي قدما بجرأة.

وعلى مدى تلك الفترة، أجرى شي وقادة آخرون في القيادة المركزية زيارات ميدانية إلى المستويات القاعدية، حيث تحاوروا مع المواطنين في بيئات متنوعة شملت الأحياء الحضرية والمنازل الريفية ومصانع الإنتاج والمدارس والمناجم. وقد استمعوا إلى آراء الجمهور حول

الإصلاح الشامل وقادوا التنفيذ العملي وبنوا توافقا.

وفي يوليو ٢٠١٣، حدد شي ست مهام كبرى لتعميق الإصلاح: إرساء نظام السوق الوطني الموحد بشكل أكبر، وتعزيز حيوية التنمية الاقتصادية، وتحسين تنظيم الاقتصاد الكلي، وتحفيز التنمية الاجتماعية، وتعزيز العدالة والإنصاف الاجتماعيين، وتقوية قيادة الحزب وقدرته على الحوكمة.

ووفرت رؤيته الواسعة وتحليلاته الثاقبة دليلا واضحا لاتجاه الإصلاح الشامل. وفي الوقت نفسه، بادرت القيادة المركزية الجديدة بسرعة بإطلاق سلسلة من الإصلاحات في المجالات الرئيسية والقطاعات الحيوية، مما أثار موجة جديدة من الإصلاح في جميع أنحاء الصين. وأصبح تحويل وظائف الحكومة أولوية أولى، فقد ألغت الحكومة المركزية أو فوضت أكثر من ٣٠٠ إجراء للموافقة الإدارية، مانحة المزيد من الصلاحيات للسوق والمجتمع.

وأطلقت الإصلاحات في أنظمة تسجيل الشركات ورأس المال حماسا غير مسبوق لزيادة الأعمال. كما وضعت الحكومة خططا عليا لإصلاح نظام المعاشات التقاعدية وسرعت إصلاح نظام تسجيل الأسر.

وأجيز إنشاء منطقة التجارة الحرة في شانغهاي، مع اعتماد نموذج إدارة قائم على القائمة السلبية، وتم تخفيض مدة تسجيل الشركات والموافقات من ٢٩ يوما إلى أربعة أيام فقط... هكذا اتخذت الصين خطوات جريئة لمعالجة المشكلات المتجذرة وتفكيك الحواجز طويلة الأمد. وعلى مدى تلك الفترة، أنجزت جهود الإصلاح في البلاد العديد من الأمور التي كانت مطلوبة لكنها لم تنفذ سابقا. ولم تسفر هذه الإجراءات عن استقرار النمو وتعزيز التحول الاقتصادي وتحسين معيشة الشعب فحسب، بل أرست أيضا طريقا جديدا للإصلاح الشامل.

وفي مواجهة الأوضاع والمهام الجديدة، مع هدف بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل وفي النهاية دولة اشتراكية حديثة قوية ومزدهرة وديمقراطية ومتحضرة ومتناغمة، وتحقيق حلم الصين بالنهضة الوطنية، صاغت لجنة الحزب المركزية مخططا لتعميق الإصلاح.

وتم إضفاء الطابع الرسمي على هذا المخطط في نوفمبر ٢٠١٣. عندما اعتمدت لجنة الحزب المركزية بالإجماع قرارا تاريخيا بشأن تعميق الإصلاح بشكل شامل في الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب.

وحدد القرار، الذي يعكس الحكمة الجماعية للحزب، مخطط الإصلاح في الصين للعقد

المقبل.

وفي المخطط هناك تصور لصين أكثر حيوية، حيث يتم تحرير العقول بشكل أكبر، ويتم إطلاق وتطوير القوى الإنتاجية بشكل أكبر، ويكون المجتمع أكثر حيوية، ويتم تحسين نظام الاشتراكية ذات الخصائص الصينية باستمرار، كما يتم تحديث نظام حوكمة الدولة وقدرتها الإدارية.

ويهدف أيضا إلى بناء صين أكثر تطورا تتمسك بإصلاح اقتصاد السوق الاشتراكي، وتعمق إصلاح النظام الاقتصادي لتمكين السوق من لعب دور حاسم في تخصيص الموارد، وتستخدم الإصلاحات الاقتصادية لدفع التنمية الأوسع.

ويسعى إلى بناء صين أفضل، حيث يتم تطبيق نظام للعدالة الاجتماعية، قائم على المساواة في الحقوق والفرص والقواعد، لضمان العدالة الاجتماعية وتحسين رفاهية الشعب. وهذا المخطط، أظهرت لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام المبادرة والوعي الشديد بضرورة اغتنام الفرص وإحساس قوي بالمسؤولية، وهي سمات تعكس أبرز الخصائص السياسية للشيوعيين الصينيين المعاصرين.

وفي نهاية عام ٢٠١٣، كشفت سلسلة من مؤتمرات السياسات الكبرى، بما في ذلك مؤتمر العمل الاقتصادي المركزي، ومؤتمر العمل الحضري المركزي، ومؤتمر العمل الريفي المركزي، عن مجموعة واسعة من إجراءات السياسات، تتراوح من الحفاظ على الإستراتيجية الشاملة للتقدم الثابت والمتوازن، إلى الماضي بشكل سليم في عملية الحضنة، والتخطيط الإستراتيجي للعمل المتعلق بالزراعة والمناطق الريفية والسكان الريفيين.

مثل هذا العام فترة محورية أخرى في عملية التحديث الصيني النمط، التي حددها الإصلاح. وأظهرت القيادة المركزية الجديدة الجرأة والحسم والبصيرة في النهوض بالإصلاح، مما جدد تطلعات الشعب بشأن مستقبل الصين.

تفاعل إيجابي وتنمية مشتركة

كانت هاتان "الثماني ساعات" الاستثنائيتان في دبلوماسية الصين عام ٢٠١٣:

- في أوائل الربيع من شهر مارس، في الكرملين بموسكو، أمضى الرئيس شي جين بينغ ثماني

ساعات في إجراء محادثات وتبادلات مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ووصف مراقبون اتفاقيات التعاون الموقعة بين الجانبين بأنها "عقود القرن". وللمرة الأولى، فتحت وزارة الدفاع الروسية ومركز القيادة القتالية للقوات المسلحة للاتحاد الروسي أبوابهما أمام رئيس دولة أجنبي. - في يونيو، في منتجع "صني لاندز" بكاليفورنيا، التقى الرئيس شي جين بينغ بالرئيس الأمريكي باراك أوباما. ورغم أن الحدث لم يشهد تحية بالمدافع، ولا سجادة حمراء، ولا ربطات عنق، فإن الزعيمين تحدثا في يومين لما مجموعه أكثر من ثماني ساعات. وتوصلا إلى إجماع بشأن بناء نموذج جديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين والولايات المتحدة يبرز الاحترام المتبادل والتعاون المرشح للجميع، بدلا من الصراع أو المواجهة.

ويشهد العالم اليوم تحولات كبيرة في العلاقات بين الدول الكبرى، فيما تشهد الدول النامية صعودا جماعيا. وقد أدت الأزمة المالية الدولية إلى تغيرات هيكلية. وما تزال الاضطرابات الإقليمية معقدة، فيما تبرز قضايا عالمية مثل تغير المناخ بشكل متزايد.

ونياية عن الصين حكومة وشعبا، وجه الرئيس شي للعالم إعلانا رسميا والتزاما واضحا - حلم الصين المتمثل في النهضة الوطنية وسعي الشعب الصيني إلى حياة أفضل مترابطة مع سعي جميع الأمم الأخرى إلى السلام والتنمية.

وقال "إننا سنواصل دائما اتباع طريق التنمية السلمية ونسعى إلى إستراتيجية انفتاح تحقق المنفعة المتبادلة. وسنركز على تنمية الصين الذاتية وكذلك على مسؤولياتنا ومساهماتنا تجاه العالم".

وفي عام ٢٠١٣، قام شي بأربع جولات خارجية، زار خلالها ١٤ دولة وحضر أربع قمم دولية. وفي الوقت نفسه، زار الصين ٦٥ من رؤساء الدول والحكومات الأجنبية. وتم تعميق علاقات البلاد مع بقية العالم على نحو أكبر.

وخلال ما يزيد قليلا على عام واحد، وقعت الصين نحو ٨٠٠ اتفاقية تعاون مع مختلف الدول، شملت مجالات السياسة والاقتصاد والتجارة والثقافة وغيرها.

وفي الخريف، عُقدت في بكين أول ندوة على الإطلاق بشأن عمل دبلوماسية الجوار منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حيث جرى تحديد الأهداف الإستراتيجية والمبادئ الأساسية والتخطيط الشامل لدبلوماسية الجوار خلال السنوات الخمس إلى العشر القادمة.

واسترشادا بمبادئ الألفة والإخلاص والمنفعة المتبادلة والشمول، أجرت الصين تبادلات

على مستوى رؤساء الدول والحكومات مع ٢١ دولة مجاورة على مدار تلك الفترة. وفي الوقت الذي ضمنت فيه بيئة جوار مستقرة وسليمة بشكل عام، حافظت الصين بثبات على المبادئ، وواكبت العصر، وأظهرت حكمة وقوة ملائمتين في حماية مصالحها الأساسية في قضايا مثل السيادة الإقليمية، مُظهرة ثقة وإرادة راسختين.

وتمسكا بمبدأ الإخلاص وتحقيق النتائج الفعلية والألفة وحسن النية، التقى الرئيس شي ١٤ زعيما من دول أفريقية ومنظمات إقليمية، في ديربان بجنوب أفريقيا، لتجديد الصداقة الصينية الأفريقية ومناقشة خطط التنمية.

وفي المحافل المتعددة الأطراف الكبرى، بما في ذلك قمة بريكس، وقمة مجموعة العشرين، وقمة منظمة شانغهاي للتعاون. واجتماع القادة الاقتصاديين لمنتدى التعاون الاقتصادي لمنطقة آسيا والمحيط الهادئ (أبيك)، عقد الرئيس شي كثيرا من الاجتماعات الثنائية مع قادة آخرين.

وحظيت الفعاليات الدبلوماسية التي استضافتها الصين باهتمام واسع، ففي أبريل ٢٠١٣، حضر قادة من عشر دول منتدى بواو الآسيوي. وفي مايو، زار قادة فلسطين وإسرائيل الصين تباعا. وفي أكتوبر، وصل رؤساء وزراء روسيا والهند ومنغوليا في اليوم نفسه. وفي ديسمبر، قام قادة بريطانيا وأوكرانيا والولايات المتحدة وفرنسا بزيارة الصين خلال الأسبوع نفسه.

وعلى مدار تلك الفترة، واصلت الصين تعميق إستراتيجيتها للانفتاح، حيث تقاسمت الأفراح والأتراح والفرص المشتركة مع جميع أعضاء القرية العالمية.

- وقعت الصين اتفاقيات تجارة حرة مع آيسلندا وسويسرا، ودفعت قدما بمفاوضات التجارة الحرة مع أستراليا واليابان وجمهورية كوريا.

- أحرزت الصين تقدما في المحادثات مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بشأن معاهدات الاستثمار الثنائية.

- سهلت الصين اعتماد "حزمة بالي"، محققة أول اختراق في المفاوضات المتعددة الأطراف في ١٨ عاما منذ تأسيس منظمة التجارة العالمية، كما شاركت الصين بنشاط في معالجة القضايا الساخنة الدولية، مُظهرة دورها كدولة كبرى مسؤولة.

- لم تتراجع أبدا عن الدفع نحو نزع السلاح النووي في شبه الجزيرة الكورية.

- أدت دورا لا غنى عنه في تسهيل التوصل إلى اتفاق المرحلة الأولى بشأن القضية النووية

الإيرانية.

- فيما يتعلق بالأزمة السورية، واصلت الصين التمسك بمبدأ حل النزاعات بالوسائل الدبلوماسية.

وعلى هامش الفعاليات الدبلوماسية الرسمية، كانت هناك بعض اللحظات العفوية التي لا تقل تأثيراً: تقاسم رئيسا الصين وكازاخستان عصيدة الدخن والمخللات على متن الطائرة نفسها أثناء مناقشة التعاون؛ وفي مدينة ماري بتركمانستان، اصطف نحو مائة ألف شخص على جانبي الطرق للترحيب بالضيوف الصينيين المميزين.

وغالبا ما تتخلل المحادثات الدبلوماسية الجادة اقتباسات بسيطة ولكنها تثير التفكير "من يرتدي الحذاء هو فقط من يعرف إن كان مناسباً أم لا"; "حال الأصدقاء القدامى، كحال النبيذ العتيق"; "لا جبل أعلى من أن يتسلقه الإنسان ولا طريق أطول من أن يقطعه". وقد اكتسبت القيادة الصينية الجديدة، بما أظهرته من حكمة وبرجماتية وإخلاص وود، احتراماً واسعاً من المجتمع الدولي.

إن النصر حليف من يجيد التخطيط الشامل، وفهم العالم يتطلب بصيرة إستراتيجية. ومن نقطة انطلاق جديدة، وبرؤية واسعة جديدة ونهج أكثر مبادرة، انضمت القيادة الصينية الجديدة إلى شعوب جميع البلدان في النهوض بالقضية النبيلة للسلام والتنمية، فنالت تقديراً عالمياً، وفتحت فصلاً جديداً لدبلوماسية الصين.

حوكمة الدولة تبدأ بإدارة الحزب لنفسه

في خريف عام ٢٠١٣، خلال جلسة خاصة للنقد والنقد الذاتي في مقاطعة خبي بشمالي الصين، تحدث أعضاء اللجنة الدائمة للجنة الحزب في مقاطعة خبي بالتتابع. وقال شي، الذي قام برحلة خاصة لحضور الاجتماع وطرح متطلبات واضحة، "أتيت إلى هنا دون نية للاستماع إلى المديح الذاتي. ما نحتاجه هو النقد والنقد الذاتي الحقيقيين". يعكس هذا شجاعة الحزب الشيوعي الصيني في المراجعة الذاتية، وشعوره القوي بالمسؤولية والرسالة، وثقته في قبول الرقابة.

ويكمن مفتاح تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية في الحزب نفسه. ومع الأخذ في الاعتبار مقولة أن المرء يزدهر في الشدائد ويهلك بالتراخي، دفعت لجنة الحزب المركزية قدماً بحوكمة

صارمة ذاتية من خلال اتخاذ تحسين نمط العمل كنقطة انطلاق. ومن خلال صياغة وتنفيذ قرار "الضوابط الثمانية" الصادر عن القيادة المركزية للحزب بشأن تحسين السلوك، وإطلاق حملة التثقيف والتطبيق حول الخط الجماهيري للحزب، ومكافحة الفساد بضرب كل من "النمور" و"الذباب"، وتعزيز البناء المؤسسي، واصل الحزب تعزيز طبيعته المتقدمة وقدرته.

كان عام ٢٠١٣ عاما لتحسين سلوك عمل الحزب والحكومة وتعزيز التلاحم بين الحزب والشعب.

وفي بداية العام، واستجابة لمطالب مستخدمي الإنترنت للحد من "الهدر على موائد الطعام"، في إشارة إلى الفساد على شكل الولايم غير الضرورية، أعطى شي جين بينغ توجيهاته: "يجب أن نعمل شيئا لإيقاف مثل هذا الهدر في أسرع وقت ممكن!" وأضاف "يجب على أجهزة الحزب والحكومة والجيش على جميع المستويات، والمؤسسات والمنظمات الشعبية، والمؤسسات المملوكة للدولة، وكذلك القادة والمسؤولين على جميع المستويات، أن يكونوا قدوة في الالتزام الصارم بالقواعد".

وأصبح عزم لجنة الحزب المركزية على فرض حوكمة ذاتية صارمة للحزب أكثر وضوحا من خلال سلسلة من الإجراءات الملموسة. ومن الأمثلة على ذلك: تلاشي معيار "أربعة أطباق وحساء واحد" من عناوين الأخبار بعد أن أصبح ممارسة روتينية؛ تحول حملة "نظف طبقك" إلى معيار اجتماعي؛ كشف الانتهاكات التأديبية علنا بدلا من معالجتها داخليا؛ جعل القواعد التأديبية أكثر تفصيلا وتحديدا. وعززت هذه الإجراءات التراكمية اعتراف الجمهور بالالتزام الحزب الراسخ بحوكمة ذاتية صارمة، وحظيت بإشادة واسعة من المسؤولين والجمهور على حد سواء.

وفي يونيو ٢٠١٣، أطلقت لجنة الحزب المركزية حملة التثقيف والتطبيق حول الخط الجماهيري للحزب، مع التركيز على تصحيح "الأساليب الشريرة الأربعة" المتمثلة في الشكلية والبيروقراطية ونزعة المتعة ونزعة البذخ والتبذير داخل الحزب.

وكان هذا بمثابة جرس إنذار طويل الرنين "إذا سمحنا لهذه المشاكل بالانتشار مثل الأعشاب الضارة، ستكون العواقب وخيمة".

وأصدر شي مطالبا واضحا لأعضاء الحزب والمسؤولين "ابدأ بنفسك، وابدأ الآن، حسن أسلوبك، جدد إيمانك بطابع الحزب، راجع واجباتك كعضو في الحزب، وقوي عزمك على

الالتزام بانضباط الحزب وقوانين الدولة".

وفي منتصف الصيف في بكين، عقد المكتب السياسي للجنة الحزب المركزية اجتماعا خاصا لقيادة عملية فحص مشكلات "الأساليب الشريرة الأربعة" وإجراء النقد والنقد الذاتي. ولضمان نجاح هذا الاجتماع، استمع شي إلى عدة تقارير خاصة وأصدر ١٧ توجيها مهما. وخلال أربعة أيام ونصف من الاجتماعات، نوقشت أكثر من ٢٠ لائحة وقاعدة، بما في ذلك إجراءات تنظيم الإشراف ومحاربة الهدر في مؤسسات الحزب والحكومة، وكذلك إدارة الضيافة الرسمية المحلية.

شهد عام ٢٠١٣ تصعيد الصين لحملتها ضد الفساد، مع تحولها إلى حرب شاملة ضد الرشوة. وفي أول جلسة دراسة جماعية للمكتب السياسي للجنة المركزية الجديدة للحزب الشيوعي الصيني، حذر شي الحزب بأكمله قائلا إن "الديدان لا يمكن أن تنمو إلا في شيء فاسد". وقال "إذا سُمح للفساد بالانتشار، فسيؤدي في النهاية إلى تدمير الحزب وسقوط الحكومة، فيجب أن نحافظ على يقظتنا".

وأضاف أنه "يجب العمل في وقت واحد على حبس النمرور وصعق الذباب، وملاحقة المسؤولين الفاسدين بغض النظر عن الرتبة"، مؤكدا على أنه "يجب حصر السلطة في قفص مؤسسي".

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، جرى التحقيق مع أكثر من عشرة مسؤولين على مستوى المقاطعات والوزارات فما فوق. وفي الأشهر التسعة الأولى من عام ٢٠١٣، سجلت الأجهزة الانضباطية والرقابية على مستوى البلاد ١١٨ ألف قضية، بزيادة ١٠,١ في المائة على أساس سنوي، وعاقبت ١٠٨ آلاف مسؤول، بزيادة ٧,٦ في المائة على أساس سنوي. وتعكس هذه الأرقام قوة حملة مكافحة الفساد التي تقودها لجنة الحزب المركزية.

وعلى مدار عام ٢٠١٣، أجرت مدرسة الحزب التابعة للجنة الحزب المركزية في الضواحي الغربية لبكين برامج تدريبية للأعضاء المنتخبين حديثا والأعضاء الاحتياطيين في لجنة الحزب المركزية، وكذلك دفعات من المسؤولين على مستوى المقاطعات والوزارات. وقد ألقى شي وأعضاء آخرون من اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية محاضرات، لمساعدة المشاركين على تعزيز المزيد من المثل العليا والقناعات الراسخة.

وعززت الحوكمة الذاتية الصارمة الأسس التنظيمية. وأصبح التوجه لاختيار وتعيين المسؤولين أكثر وضوحا، وتكثفت مهام تعزيز منظمات الحزب القاعدية ذات التوجه الخدمي، وأصبح تطبيق الحياة التنظيمية داخل الحزب أكثر صرامة.

وحسنت الحوكمة الذاتية الصارمة التنمية المؤسسية. وقد سُجلت عدة أمور تاريخية "تُنفذ لأول مرة" في سجلات التطور المؤسسي للحزب، بما في ذلك إصدار أول "قانون تشريعي" للحزب، أي اللوائح المتعلقة بصياغة القواعد الداخلية للحزب الشيوعي الصيني، وأول خطة خمسية لصياغة لوائح الحزب الداخلية، وأول ترتيبات شاملة لتعزيز الرقابة والإشراف على ممارسة السلطة.

ويعمل الشيوعيون الصينيون بشكل مخلص على تحقيق الهدف الدائم للحزب وسعيه الدؤوب، من خلال البقاء دائما في طليعة العصر، والعمل ليكونوا السند الصلب للشعب والنواة القوية للقيادة.

تقاسم السراء والضراء مع الشعب

قال شي إن "تلبية تطلعات الشعب لحياة أفضل هو هدف كل عمل للحزب". وفي ١٥ نوفمبر ٢٠١٢، التقى شي بالصحافة بعد انتخابه أمينا عاما للجنة الحزب المركزية. وفي خطابه، ذكر كلمة "الشعب" ١٩ مرة إجماليا.

وفي أول جلسة دراسة جماعية للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية بعد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب، شدد شي على أن مستقبل ومصير الحزب والحكومة يعتمدان على الدعم الشعبي. وقال "إذا انحرفنا عن الشعب وخسرنا دعمه، فإننا سنواجه الفشل".

وفي نهاية عام ٢٠١٢، وعلى الرغم من البرد القارس، زار ضيف غير معتاد منزل القروي تانغ رونغ بين في قرية لوتووان، في فوبينغ، بمقاطعة خبي شمالي الصين.

وكان هذا الضيف هوشي، الذي جاء خصيصا لزيارة الأسر الفقيرة. وفي رأيه، "الزيارات المتكررة للمناطق الفقيرة، والجلوس في منازل الأسر الفقيرة والتحدث مع أناس يواجهون صعوبات" هي ما يجب أن يقوم به أعضاء الحزب الشيوعي الصيني.

وتحدث شي مع عائلة تانغ وتناول الطعام الذي استطاع القروي تقديمه - بطاطس طازجة مطهوة على البخار مباشرة من القدر.

وقال شي ذات مرة "لكي ترى، يجب على المرء رؤية الواقع الحقيقي - لترى الأشياء كما هي حقا. ولكي ترى، يجب على المرء رؤية الفقر الحقيقي - لفهم ظروف معيشة الشعب حقا".

وقبل خمسة وأربعين عاما، ذهب شي، الذي لم يكن يبلغ من العمر ١٦ عاما بعد، إلى هضبة اللوس في شمال غربي الصين كـ"شاب مثقف". وأمضى سبع سنوات في قرية ليانغجياخه بمدينة يانآن، حيث عمل في الزراعة، وحمل الفحم، وبنى السدود، ونقل السماد، وشارك القرويين مشقاتهم. ومن الحقول الريفية لشنشي في شمال غربي الصين إلى تشنغدينغ في خبي بشمالي الصين ولاحقا في فوجيان وتشجيانغ وشانغهاي، وكلها في شرقي الصين، ظل شي دائما قريبا من القاعدة الشعبية، مما جعله يكوّن رابطة عميقة مع الشعب. ويعرف جيدا من هم القرويون الصينيون، وما هي أفراح وأحزان الناس العاديين، وما هي الحقائق الأساسية في البلاد.

وعلى مدى العام الماضي، زار شي مناطق فقيرة مرارا، بما في ذلك فوينغ في أعماق جبال تاهانغ، ودينغشي في قانسو بشمال غربي الصين، والمعروفة سابقا بأنها "الأرض الأكثر جفافا تحت السماء"، والمناطق الريفية النائية في غربي هونان بوسط الصين، وقاعدة ثورية قديمة في مقاطعة شاندونغ.

وقال شي إن "مقياس الرفاهية الشاملة يكمن في المناطق الريفية. لتحرير سكان الريف من العوز حتى يتمكنوا من عيش حياة أفضل في أسرع وقت ممكن، يجب أن نعمل باجتهاد وفعالية". في ٢٢ نوفمبر ٢٠١٣، تسبب تسرب في خط أنابيب بانفجار كبير في هوانغداو في تشينغداو بمقاطعة شاندونغ. زار شي الموقع وقال لأسر الضحايا "لا يمكننا أن نطمئن إلا عندما نعرف أنكم تتلقون الرعاية الملائمة".

وعندما وقعت كوارث طبيعية أو حوادث، أصدر شي تعليمات فورية تولى أولوية لسلامة الجمهور وحماية الممتلكات، وأرسل مسؤولين إلى المواقع لتقييم الوضع ومواساة المتضررين. وقال تشو قوه تشينغ، وهو قروي يبلغ من العمر ٦٥ عاما في بلدة لونغمين الواقعة في لوشان المتأثرة بالزلازل بمقاطعة سيتشوان، مستعيدا بدقة الاهتمام البالغ الذي أولاه شي لهم خلال زيارته ما بعد الزلزال إن "الأمين العام شي دخل إلى خيمتي، وسأل عما إذا كانت المياه تتسرب عند هطول المطر، وتفقد مجرى تصريف المياه الخارجي، وسأل عن طعامنا".

إن تفاعلات شي - من مناقشة صعوبات استدعاء سيارات الأجرة مع السائقين، والتوظيف مع خريجي الجامعات، وظروف المعيشة مع العمال المهاجرين، إلى زيارة عمال النظافة والأسر الريفية النائية - لا تظهر فقط الرعاية والاهتمام، بل منهجية مدروسة لحل المشكلات. فهو يعالج الهموم الآتية بينما يستكشف حلولا طويلة الأمد.

وُعد الإسكان حجر الزاوية في معيشة الشعب. ففي عام ٢٠١٣، حددت الصين هدفاً يتمثل في إكمال ٤,٧ مليون وحدة سكنية مدعومة حكومياً وبدء بناء ٦,٣ مليون وحدة سكنية ميسورة التكلفة. وتم تجاوز الهدف السنوي. وبحسب الخطة المركزية، سيتم إعادة بناء عشرة ملايين وحدة سكنية أخرى في المناطق الحضرية المتهالكة خلال السنوات الخمس القادمة.

وكانت إشارات السياسات واضحة، وهي جعل السياسات الاجتماعية فعالة وضمن الاحتياجات المعيشية الأساسية للشعب. وقد تم التأكيد على ذلك مراراً في اجتماعات اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة الحزب المركزية وغيرها.

واتخذ الحزب والحكومة إجراءات تجسد الإنصاف والعدالة، بدءاً من تبسيط وظائف الحكومة وتعزيز العدالة القضائية، وصولاً إلى ضمان تكافؤ الفرص في التعليم والتوظيف.

وقال شي، معبراً عن أساس توحيد قوة الشعب، إن "جميع الصينيين الذين يعيشون في بلدنا العظيم في هذا العصر العظيم يتشاركون فرصة السعي للتميز، وتحقيق أحلامنا، وتطوير أنفسنا مع تطور بلدنا".

لقد أظهرت القيادة المركزية الجديدة، مع وضعها تطلعات الشعب في الاعتبار، التزاماً عميقاً وراسخاً بخدمة الشعب.

وقال شي في ندوة بمناسبة الذكرى ١٢٠ لميلاد ماو تسي تونغ في ٢٦ ديسمبر ٢٠١٣، مقتبساً ما قاله ماو "نحن الشيوعيون مثل البذور، والشعب مثل التربة".

ودعا جميع أعضاء الحزب إلى وضع الشعب دائماً في المقام الأول، والاعتماد على الشعب والبقاء على اتصال وثيق بهم.

الوقوف دائماً إلى جانب الشعب - لقد أثبتت الممارسة خلال أكثر من عام مرة أخرى أن هذا تقليد عزيز يمكن الشيوعيين الصينيين من الحفاظ على حيويتهم وقدرتهم.

وبعزيمة وعمل جاد وجهود دؤوبة، يلتف الحزب بأكمله والقوات المسلحة وأبناء الشعب الصيني من جميع القوميات بشكل وثيق حول لجنة الحزب المركزية بقيادة شي بصفته الأمين العام، مصممين على تجاوز جميع الصعوبات والمضي قدماً في الرحلة نحو تحقيق حلم الصين.